العهد لم يكن فيها مدينة حوت مثل من حوتهم باريز ولندن وان قارة واحدة من قارات الارض تعدل بعدد سكانها الان جميع سكان الارض في تلك الازمان وكلهم ينعمون ويلذون وليس الشقاء عندهم الا نسياً فقط

المال والجمال والكمال

ان للناس في اختيار الزوجات اميالاً ان لم تكن محصورة في هذه المطالب الثلاثة فهي امهاتها والمواد التي تصدر عنها

فكل من الطلاب له غرض منها يرمي اليه وحظ فيها يبغي الحصول عليه حتى اختلفت لاجل ذلك افكارهم وتعددت مذاهبهم وآراؤهم

فاما طلاب القسم الاول فيحكم لهم بالفوز وحوزة السبق ولوانهم على غير الحق هذا الوفاق والاتفاق الذي ظهر في جميع الشعوب وبين عموم الطوائف لا فرق فيه بين شرقي وغربي ومسلم ومسيحي ولا يختلف فيه الكبير والصغير والعظيم والحقير فكلهم يطلب ان تكون عروسه عروس الكنز المزعومة او ابنة سليمان او ارملة قارون الزمان فلا يرقم المسجل في سجل المواليد اسم مولودة من سلالة غنية الا وقد رمقها الكل وازدحمت على بابها اقدامهم وكثرت امانيهم واحلامهم ولا ينقل الناقل ان احد الاغنياء اصبح طريح فرشه الا والامال في ارملته جهزت له نعشه وربما كان بسبب امرأته شكواه فلا حول ولا قوة الا بالله

واذا كان الامر من هولاء كذلك فلا اتعب في الباطل ولا اجهد فيما لا يجدي ولا اسأل الناس ما الذي يسوقهم بجملتهم الى هذا المطلب وهو لوصح

واصابوا المرمى ما غرس لهم عوداً في الفخر ولا حرك لساناً بحق في الثناء والشكر

اما القسمان الآخران فتختلف طلابهما باختلاف اذواقهم وتباين مشاربهم واخلاقهم ومن الناس من يطمع بالحصول على ذات المزيتين التي جمعت بين الرئاستين وهذا يراه بعضهم كالانسان الذي يريد ان يعض اذن نفسه بنفسه فهو كلما حول بفمه دارت اذنه مع رأسه وما ذلك الا لان الجمال من شأنه يجلب العجب والكبرياء والخيلاء وهذه الخلال لا تنطبق على قانون الاخلاق ومزايا الكمالات

اما انا فالكلام على هولاء الطامعين ليس من غرضي ولكن الذي اريده هو البحث في المزيتين الجمال والكمال وايتهما الافضل والالزم ويعلم الله كم سعيت لفصل النزاع القائم بين الفئتين المختلفتين في هاتين الصفتين وكم قصدت المجتمعات العلمية والنوادي الادبية طامعاً في طرح هذا البحث على ذوي النقد ولكن لم اتوفق لهذا المطلب الذي عظم باشتداد الخلاف بين الفريقين حتى جاء الوقت واتاح لي الحظ مجلس ادب ضمني وبعض الادباء الذين يؤخذ بقولهم ويعول على رأيهم فانتهزت فرصة لطرح الموضوع في رحاب البحث والتدقيق والتحقيق

تجاذبنا اطراف الحديث واخذنا باسباب المناقشة وما منهم الا ذو رأي معدود وفكر مشهود وبالرغم عن طول الجدال لم تتغير الحال بل زادت اشكالاً وتعقيداً والبسها البحث ثوباً جديداً الا ان الظروف لم تكن تسمح باتمام الحديث فانفضوا وانفرط العقد وتفرق الجمع على ان يعودوا لهذا الموضوع ثانية

فارقتهم وفي نفسي شيء من الشوق لاستخلاص نتيجة هذا البحث وقعدت امام خزانة الكتب اتسامر مع اولئك الفحول ذوي المعقول والمنقول اولئك الذين اودعوا الاسفار درر الافكار والبسوا المصنفات حلل الفضل وحلى الكمالات

وما زلت اقلب (ذخائر الاعلاق) وانتقل الى (ديوان الاشواق) ثم انظر بعد ذلك في (سلوك المالك وتدبير الممالك) متنقلاً مابين اصوله وفروعه وافراده وجموعه ثم ارجع الى (تزيين الاسواق) ودواوين العشاق فاراجع ماقيل في الصباحة والملاحة والحسن والسماحة

واقابل بين الجاذب بدقة تركيبه والجاذب برقة تأديبه والآخذ بسحر احداقه والمالك بفضائل اخلاقه حتى ادركني التعب والملل ومن يسمع يخل

غلب علي النعاس فتركت الكتب مبعثرة والاوراق منثورة والقلم بيد مخدرة وقلت لنفسي (مكانك تحمدي او تستريحي)

نمت فرأيت (خيراً يا سيدمي) كأنني بمجلس عظيم الهيبة والوقار يستوقف النظر بما سطع فيه من الضياء واشرق عليه من الانوار تجمع عقداً منظماً من ذوات الجمال وربات الكمال من اللائي تعلمن فحباهن العلم نوراً على نور وتأدبن فرفعهن الادب على مقر البدور

بدأتهن بالسلام فرددن التحية بكل احتشام وقلن لي ايها الفتى ان كنت نقي السيرة طيب السريرة ولك في الاداب خلاق وتميل الى فضائل الاخلاق لا بأس فاجلس عن قريب فعما قليل يحضر الاستاذ الخطيب وسيخطب للحال في الجمال والكمال فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر وليل الحظ قد اقمر

وجلست حيث امرت

ولم يكن الا كلمح البصر حتى حضر الشيخ المنتظر فقوبل بالاحترام اللائق بالمقام وما استقر مقامه واطمأنت اقدامه حتى صعد ذروة العود وبدأ يخطب في الموضوع الموعود فقال

اليكن ايتها السيدات اسوق الحديث وانا اول المؤمنين بكمالكن وآدابكن وانكن من خيرة النساء علماً وفضلاً ولكن دعاني الى هذا الموقف نداء لبيته وامر اطعته فالعفو اذا تورطت في سبيل النصيحة بما لم يرق في اعين البعض منكن فالغاية تبرر الواسطة ورضاء الاديبة يخفف عني سخط الجاهلة

وعدت ان اخطب في الجمال والكمال وها انا منجز ما وعدت فهبن لي آذاناً صاغية وقلوباً واعية واسمعن واطعن اضمن لكن مستقبلاً حسناً وعيشة راضية

اخواتي

ان للجمال سلطاناً عظيم الهيبة كبير الصولة ولكن لتسامحي رباته اذا قلت انه غير قادر على اخضاع القلوب بكليتها ولا على امتلاك العواطف بجملتها وان هناك من هو اسمى منه مكاناً واعلى شأناً الا وهو سلطان الاخلاق فهذا الذي له السلطة التامة والكلمة النافذة وما من امرأة باتت تحت امرته واستظلت بظل رايته الا وقد تكفل لها المستقبل بالسعادة والهناء ولو كانت جارية سوداء وبالعكس ما من امرأة نبذت طاعته وفارقت جماعته الا ولحقها الشقاء وحل بها البلاء ولو كانت من الحور او مخلوقة من النور

نعم فان الشعر بسواده والجبين بوضاحته والعيون بفتورها وفتونها والقد

بجماله والقوام باعتداله كل ذلك لا يغني القرين شيئاً بل ربما كان سبب مصيبته ونكد عيشته

ان الذي يقارن جمال الشمائل بكمال الفضائل فيقارن اعتدال القامة بالمروءة والشهامة وحسن الهندام بالعفة والاحتشام وفتك اللحظ برقة اللفظ وورد الخدود بعاطر الاحسان والجود وطول الشعور بالبعد عن الشرور وكحل المقل بالاخلاص في العمل لعمر الحق قد اخطأ القياس وبنى على غير اساس فالجمال كم جر وبالاً واضرم قتالاً والكمال كم خلد ثناء عميماً وشكراً عظيماً

لصاحبة الكمال والفضل ان تخدم دينها ووطنها ومستقبلها بخير تقدمه وخدمة تقوم بها ونظر في امورها وتدبير احوالها وليس في طاقة ربة الجمال المجردة عن الفضائل شيء من ذلك. استغفر الله فهي بما تتفنن في اساليب البهرجة والزينة تقدم للتجار خدمة يشهد بعلها بعظيم اجرها ويعرف عقبى امرها

***

ان الذين سافروا الى البلاد الاوربية وشاهدوا عجائبها وغرائبها نقلوا الينا ما اثبت واكد منقولات جرائدها واخبارها من ان للمرأة فيها شأناً عظيماً وانها تقدمت في المدنية والحضاره فوصلت الى درجة يقصر عن الوصول اليها اكثر رجالنا اليس ذلك عاراً علينا ونحن ابناء الذين خلدلهم التاريخ ما ينشر بالاعجاب والثناء لتلك الهمم العالية والآثار الغالية

وصلت المرأة في اوربا ان تشتغل ما بين طبيبة ومحامية ورياضية وتلغرافجية حتى انهن يطلبن الان ان يكن بالمجالس العليا والدوائر الرسمية ونحن لا نطلب منكن ان تكنّ كذلك فقط نطلب ان تعرفن الواجبات عليكن من التعليم والتأديب والتربية وما يعود عليكن بالنفع العظيم والخير العميم نطلب ان

تتمكن منكن الفضائل وتتخلى عنكن الرذائل وان تخلعن رداء الكسل وتواظبن على الجد والكد في العمل

ان للوالدين والازواج والابناء والوطن حقوقاً وواجبات فاعرفنها وحافظن عليها فاذا اهملتن هذا الواجب نبذكن الاباء وكرهكن الازواج وبعد عنكن الابناء وتبرأ منكن الوطن وهذه حالة لا يرضاها الا من رضي بالذل والتعاسة والخمول

***

يكون للرجل منا صاحب شهد له الخبر والخبر بالفضل والاستقامة والشهامة فيتهالك في حبه ويتفانى في هواه ويفتخر بصداقته ويكون الثناء عليه ورده في مساءه وصباحه وغدوه ورواحه فكيف اذا وجدت هذه المزايا في شريكة حياته وقسيمة حظوظه لا شك يجعلها في سويداء قلبه وانسان عينه

كذلك يكون الرجل قبيح السيرة سيئ السريرة لا يحسب الواجبات حساباً ولا يخاف في الدنايا زجراً ولا عقاباً فاذا ما ساقته الصدفة وغلطات الايام الى مجلس ادب وبين حفلة علم اغلقوا دونه الابواب وودوا لو نزلت به الصواعق واحتاط به غضب الخالق فكيف الحال يا اخوتي اذا أصيب الرجل بامرأة سيئة الخلق لم تتعلم ولم تتأدب اليس يعذر اذا اعتبرها كالوباء وباعد بينه وبينها بعد الارض عن السماء

اه

وهذا ما اذكره من اقوال الخطيب الذي كان يكرر ويقرر بالبراهين الساطعة والحجج الدامغة فضل العلم ومزية كرم الاخلاق حتى رأيت جباه

السيدات وقد تكللت بالعرق وصبغت وجناتهن بحمرة الخجل وتمايلن وتشاورن ثم برزت احداهن وكانت بلباس بسيط ليس بالثمين المفوف ولا بالرخيص المعجرف وعليها من الحلي ما ينبغي لامرأة ترى ان الاداب اثمن حلية واجمل زينة فرفعت يدها واستأذنت فأذن لها فقالت

ايها الاستاذ الجليل لك الشكر الجزيل على ما قدمت لنا من المواعظ المفيدة والزواجر المؤثرة ونحن معشر الشرقيات لا ننكر اننا اصبحنا باهمالنا منبوذات مهملات ولكن المنصف العادل والحر المجرد عن الغرض يرى ويحكم بان للرجال الجزء الاعظم من هذا العار فانهم وقد بقيت فيهم بقية من الاستبداد وحب الاستعباد اورثونا هذا الحال وجلبوا لنا ببغضهم لان نتعلم هذا الوبال فهم يعتبروننا كخادمات او اسيرات ولا ندري لماذا يضيقون علينا ويوسعون على انفسهم ويسومونا الخسف والهوان لغير ذنب جنينا ولا سيئة اجترحنا حتى انحطت مداركنا التي لم تستعمل في شيء من الفنون غير جودة الطبخ وحسن الغسل وايقاد (الكانون)

واذا كان الرجال يحولون بيننا وبين فضائل العلم والعرفان ويحجبون عنا انوار الهداية للواجبات الدينية والادبية فلا يكون لنا مأوى ولا مثوى غير سوق الحسن وارضاءهم بالزينة والبهرجة التي عودونا ان لا يقنعوا منا بغيرها ومن الاسف الشديد ان ظهر للعالم سوء هذه الحطة وانها لا تجدي ولا تسمن ولا تغني وكفى بما قدم الاستاذ دليلاً على فسادها وحيث ان الله وهبنا من القوى العقلية والمدارك السامية ما يؤهلنا للاعمال النافعة والامور المفيدة فعلى الرجال ان يساعدونا ويشدوا ازرنا ويبذلوا ما في وسعهم لنوالنا هذه الامنية التي تكون في المستقبل من موجبات مسراتهم ودواعي هنائهم والا فلا يرمونا

بالغباوة والجهل ان ضنوا بالمطلوب وكانوا انصاراً للاجنبي في رمينا بالعيوب

حسب المرأة قوم آفة ... من يدانيها من الناس هلك
ورآها غيرهم امنية ... فاز بالنعمة فيها من ملك
فتمنى معشر لو نبذت ... وظلام الليل مشتد الحلك
وتمنى غيرهم لو وضعت ... في جبين الليث اوقاب الفلك
وصواب القول لا يجهله ... حاكم في مسلك الحق سلك
انما المرأة مرآة بها ... كل ما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا أفسدتها ... واذا اصلحتها فهي ملك

***

والى هنا استيقظت من النوم مندهشاً لما رأيته معجباً بما سمعته وها انا ابعث بهذه الروءيا الى هذه المجلة النسائية «انيس الجليس الغراء» التي تخدم هذا الجنس اللطيف احسن خدمة باجل همة مشفوعة بجزيل الشكر وجميل الثناء ملحقة بفائق الاحترام وازكى السلام

محمد محمد

الكاتب بعموم الاوقاف

الزواج

في بعض انحاء نابلس

بقلم احدى الكاتبات الفاضلات

يختلف الناس في عاداتهم واخلاقهم اختلافهم في وجوههم واذواقهم ولا غرو فان العادة هي مرآة اخلاق الامة ومقياس درجة تقدمها في الحضارة فباذاعة عوائد قوم اشتهار حالهم واظهار ما هم عليه من التمدن فضلاً عما يجد